شهريات

بقلم
رئيس التحرير

١ ــ لن يستسلموا

مساء الاثنين ، مطلع هذا الشهر ، أويت الى فراشي حزينا ، كملايين المواطنين العرب الذين بلغهم توقيع « اتفاقية السلام في سيناء » واستمعوا او اطلعوا على بنودها ..

وحين افقت صباح اليوم التالي ، كان فمي مليئا بالمرارة .. ثم احسست بالغضب يستولي عليّ ، بأيّ حق تتعهّد مصر ، بانهاء حالة الحرب مع اسرائيل ؟

ان البند الاول من الاتفاق ينصّ صراحة على ان « النزاع بين مصر واسرائيل لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية » ،وينص البند الثاني على ان « يتعهد الطرفان بعدم استخدام القوة او التهديد بها او الحصار العسكري في مواجهة الطرف الاخر » . وينص البند الثالث على تعهد الطرفين « بالامتناع عن اية اعمال عسكرية او شبه عسكرية ضد الطرف الاخر »

واذن ، فان مصر ، كبرى الدول العربية وصاحبة حرب تشرين ، تخرج الان من الحرب مع اسرائيل ، ولاجل غير مسمى ، مقابل تنازل العدو عما لا يتعدى ٦ ٪ من ارض سيناء المحتلة التي يبقى منها في يد اسرائيل ٨٧،٥٠ ٪ ...

مصر توقّع اتفاق السلام هذا ، لانها لا تستطيع ان تخوض الحرب ضد الولايات المتحدة ، على حد تصريح زعمائها في اكثر من مناسبة ..

وليس يهمّ بعد ذلك تخفيف وقع الكارثة بوصف هذا الاتفاق بأنه مرحلة ، وبان مفاوضات من اجل الجولان ستتبع ، وبأن حق تقرير المصير محفوظ للفلسطينيين ..

الخطير في ذلك ان زعماء مصر يكرّسون عجز الشعب المصري ، والشعوب العربية كلها ، عن مجابهة الولايات المتحدة ، فيدعون الى الاستسلام ، ضاربين بكل انتصارات الشعوب المناضلة ، وآخرها الشعب الفيتنامي ، على جيوش الولايات المتحدة واساطيلها البحرية والجوية !

لماذا يستطيع شعب فيتنام مقاومة الولايات المتحدة، وهو الفقير الموارد . ولا تستطيع الشعوب العربية ،صاحبة اغنى الموارد البشرية والمادية ؟ أليست هذه الشعوب هي التي خاضت حرب تشرين وحققت ما حققت من نصر فيها ما نزال ندقّ له الطبول العالية ؟

لا نستطيع محاربة الولايات المتحدة التي تدعم اسرائيل ، اي اننا لا نستطيع محاربة اسرائيل ، وهكذا نعلن انهاء حالة الحرب .. وليس ذلك فقط ، بل اننا ندعو الولايات المتحدة لارسال خبرائها « ليكونوا شاهدا بين مصر واسرائيل » .. فهل يمكن ان يكون المنحاز سلفا الى احد الفريقين شاهدا موضوعيا بينهما ؟

حزين أنا هذه الايام ، وغاضب ، كملايين المواطنين العرب ، ولا سيما الفلسطينيين ، لان هذا الاتفاق يصمنا بالعجز والشلل ، ويستعين بعدونا البعيد ليفصل بيننا وبين عدونا القريب ، ولان هذا الاتفاق يؤكد لنا اننا مهزومون ، وسنظل مهزومين الى الابد !

ولكنني ، ولكننا لن نستسلم لليأس ، لاننا واثقون من ان شعب مصر لن يرضى ولن يصمت طويلا ، ولن يستسلم لدعوات المتخاذلين المشككين بطاقاته العظيمة .

لن يرضى شعب مصر ، ولن ترضى الامة العربية ، ولن ترضى الاجيال العربية المناضلة !

٢ ــ نحن .. وترجمة كامو !

قرأت في عدد يوم الجمعة ١ ــ ٨ ــ ١٩٧٥ من « السفير » تعليق المحرر الادبي لمجلة « نضال الشعب » على كلمتي المعنونة « سارتر .. والعمى » التي نشرتها « الآداب » في عددها الماضي .

وارى انه لا بد من الرد على الكاتب صقر ابو فخر تصويبا لعدة اخطاء اعتقد انه وقع فيها ، وتعليقا على بعض الاراء التي اوردها .

١ ــ ردا على ما ذكرته من ان الادب والفلسفة الوجودية كانا يركزان على محوري « الحرية والمسؤولية » اللذين كانت الامة العربية تفتقدهما في حياة المجتمع العربي ، تساءل الكاتب : « هل كان المجتمع العربي يحتاج

حقا الى الحرية والمسؤولية » ؟ ثم اجاب : على كل حال ، هذه قصة اخرى كما يقال ، ولا يليق ان نناقش فيها من يقوم بدور المترجم لا أكثر ..»

وواضح هنا ان الكاتب يشك في ان يكون المجتمع العربي محتاجا حقا الى الحرية والمسؤولية .. وهو امر عجيب بالفعل ! هل يعتقد الكاتب اننا قد اكتسبنا في المجتمع العربي من الحرية ، على كل صعيد ، قدرا لا حاجه معه الى مزيد ؟ وهل يكون حس المسؤولية لدى القادة والمثقفين وابناء الشعب قد بلغ من النضج ما يغنينا عن كل فكر وادب يدوران حول المسؤولية ؟

اما ان الكاتب لا يليق به ان يناقش في هذا من يقوم بدور المترجم « لا اكثر » .. فليسمح لنا ان نتهمه بمسخ الحقائق وتشويه الوقائع حين يريد ان يقصر نشاطنا الشخصي في خدمة الفكر العربي على كوننا مترجمين فقط ! ان هذا تجنّ لا يليق بمن يتصدى لرصد الحركة الادبية الحديثة في الوطن العربي !

٢ ــ يقول الكاتب ، بعد ان ارتاح ضميره باصدار ذلك الحكم :

« لا بد من اسقاط القناع عن مغالطة لا يجوز السكوت عنها .. لقد ترجم الدكتور ادريس اثار كامو الكاملة تقريبا ، وهو يعرف كما يعرف جميع الناس ان كامو ادان الثورة الجزائرية واعتبرها « مؤامرة من القاهرة لتحقيق احلامها الامبراطورية » . وبالرغم من ذلك استمر الدكتور ادريس يترجم له كتبه وينشرها بالجملة والمفرق .. »

عجبا لهذا الكاتب ، ما اشد فقدانه لحس المسؤولية! اما كان واجبا عليه ، لاقامة دعواه ، ان يسرد كتب كامو التي ترجمتها كلها تقريبا ونشرتها بالجملة والمفرق ؟

ان كل ما ترجمته شخصيا من كتب كامو كتاب واحد هو « الطاعون » ليس غير ! فهل تراه ينعش ذاكرتي باسماء كتب اخرى ترجمتها ، لعلني نسيت ؟!

ان الكاتب ، لدعم تجنيه وافترائه ، يسند الي ما لم افعله .. ولو كان موضوعيا ، لذكر اني لم اترجم من اثار كامو الا « الطاعون » لان هذه الرواية بالذات هي ، في رأي نقاد ودارسين اجانب وعرب ، ادانة للاحتلال الفرنسي للجزائر ، هذا الاحتلال الذي رمز اليه كامو بوباء الطاعون الذي اكتسح مدينة وهران ..

صحيح ان كامو قد خان ، فيما بعد ، مبادئه ، ولكنه حين كتب « الطاعون » كان لا يزال يؤمن بالشعب الجزائري وباستقلاله .. وقد ترجمت روايته عام ١٩٥٤ ، ولكن « المنشورات العربية » قد تأخرت في نشرها الى عام ١٩٥٧ .. وحتى عام ١٩٥٥ لم يكن كامو قد انحرف عن موقفه الذي كان قد اعلنه عام ١٩٤٥ في مقال نشرته « الكومبا » (عدد آب) واكد فيه فشل « فرنسة » الجزائر ، معتبرا الجزائر بلدا له شخصيته المستقلة ..

يقول الكاتب الجزائري عثمان سعدي في مقال له في « الآداب » :

« لم يغادر كامو الجزائر الا بعد ان اكتمل تكوينه الفكري ونضج جهازه الحسي ، وبعد ان صابح وماسى شعبا جزائريا ولازم شبابا جزائريا ، وبعد ان كافح وناضل في سبيل وجود مثالي للانسان الجزائري .. ولا يهمني اذا كان « كامو الان » تخلى عن مبادئه وعن هذه البيئة الجزائرية التي استوحى من مناظرها الطبيعية ومن وضعية انسانها وفلسفته ، لان « كامو الان » ليس هو « كامو الماضي » : كامو في « الطاعون » في هذه الفلسفة التي استمدها من وضعية الانسان الجزائري وسط هذا الطاعون السياسي المبيد له بالتدريج .. ليس هو كامو الجزائر يوم ان كانت مسرحياته الثورية تمنعها الرقابة الاستعمارية خشية ان تثير الشعب الجزائري على اغراضها ..»

وهكذا يتضح جليا اني ، اولا ، ترجمت اثرا واحدا لكامو هو « الطاعون » ، وان هذه الرواية ، ثانيا ، تدين وباء الاحتلال الفرنسي للجزائر ، واننا لم نجد الا ان ندين كامو ، ثالثا ، حين تخاذل وتراجع عن مواقفه الاولى .. وهذه كلها وقائع يجهلها او يتجاهلها محرر مجلة « نضال الشعب » ليسند الينا تهما باطلة ..

٣ ــ يتابع الكاتب مقدمته الفاسدة ليصل الى الاستنتاج الفاسد التالي :

« لنتفق اذن على ان ترجمة كامو الذي مات سنة ١٩٥٨ لم تكن لكسبه لقضايا التحرر العربي الخ .. وانما كانت لكسب اخر اولا ، ولسد الطريق امام الفكر الماركسي ثانيا واخيرا » .

نتجاوز اولا غمزه لقنانتا فيما يتعلق بالكسب الاخر .. ويقصد به المادي .. باعتبار اننا لم نترجم له الا كتابا واحدا لم نكن نحن ناشريه .. وانما ترجمناه لحساب « المنشورات العربية » بأجر عادي يتقاضاه كل مترجم .. نتجاوز ذلك الى اتهامنا بـ « سد الطريق امام الفكر الماركسي » وهو افتئات اخر تكشفه بسهولة لائحة منشورات « دار الآداب » التي تضم عشرات الكتب الماركسية ، واسماء العديدين من الكتاب الماركسيين الذين تفتح لهم « الاداب » صدرها منذ خمس عشرة سنة على الاقل ، بالرغم من اننا لا ندين بالماركسية ، وان كنا نحترمها ونقدرها كفلسفة للفكر والحياة ، ونتحالف دائما في المواقف المصيرية مع المفكرين الماركسيين العرب ..

ويؤسفنا ان الكاتب يشوه ، على هذا الصعيد ايضا ، موقفنا الحقيقي .

٤ ــ واخيرا ، فنحن لا نتأثر اذا وصفنا الكاتب بأننا من مترجمي « البورجوازية العربية الكبيرة والصغيرة »(١) .. فهذه تصنيفات بالية لا نلقي اليها بالا .. يهمنا في كل حال ان نبقى جنودا في خدمة الفكر العربي ، القومي والتقدمي ، سواء مارسنا هذه الخدمة في ميادين الترجمة او النشر او الكتابة الروائية والقصصية والقومية والمواقف العلنية التي نقفها في كل مناسبة .. ونعتقد اننا نخدم هذا الفكر ايضا ، حين نتصدى لدحض الافتراءات .. ومنها هذه التي طلع بها المحرر الادبي لـ « نضال الشعب » !

سهيل ادريس

---

(١) نحن لا نجد مانعا حتى من ترجمة بعض اعمال مخالفينا في الفكر ، حتى لا نبقى ذوي نظرة واحدية .. ونكون مقصرين اذا اهملنا كاتبا ككامو ذا منزلة عالمية بادبه وافكاره التمردية ..